كلية التربية الأساسية – الشرقاط

قسم التربية الإسلامية

المرحلة الثالثة

مادة منهج البحث التربوي

٢٠٢٥م

المبحث الثاني

مناهج البحث العلمي

سوف أتحدث في هذا البحث عن تعريف مناهج البحث أو منهجية البحث، وموضوع منهجية البحث، والفرق بين المنهج والمنهجية وأنواع مناهج البحث؛ وذلك في مطالب على الوجه الآتي:

المطلب الأول

تعريف مناهج البحث

المنهج لغة كما جاء في لسان العرب: «طريق نهج بيِّنٌ وواضح، ومنهج الطريق: وضحه، والمنهاج كالمنهج، وفي القرآن الكريم: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. والمنهاج: الطريق الواضح. والنهج: الطريق المستقيم»[(١)].

إذن: هناك ثلاثة مصطلحات منهجية ترد عند الباحثين وهي: النهج، والمنهاج، والمنهج، ولكل منهم استخداماً خاصاً يعين في توضيح جانب أساسي وهام من تصميم البحوث، فالنهج لغة: الطريق المستقيم الواضح، والمنهاج هو الخطة المرسومة، والمنهج هو الطريق البين إلى الحق في أيسر سبله.

وبهذا التوضيح نميز بين هذه المصطلحات بالمثال الآتي: في البحث العلمي هناك نهج فكري يتمكن الباحثون بواسطته من الكشف عن الحقائق باتباع منهاج مرسوم، يستخدم فيه أكثر من منهج علمي، وتعتمد المناهج على طرائق خاصة للتقصي لتمكن من تحقيق الهدف من البحث وفق التصميم العلمي الذي وضع له، يعين في توضيح جانب أساسي هام من تصميم البحوث.

والذي أوقع المؤلفين العرب في عدم الوضوح والخلط، تقلهم مما كتب في هذا

---

(١) لسان العرب، مادة (نهج) (١٤/ ٣٠٠).

الموضوع باللغات الأوروبية التي ليس فيها إلا مادة واحدة وهي (METHOD) التي تكتب بأشكال متقاربة في هذه اللغات على اختلافها؛ وذلك لأن أصل الكلمة مأخوذ من الكلمة اللاتينية (METHODUS) المأخوذة بدورها عن اليونانية، وقد استعملها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، بينما استعملها أرسطو بمعنى بحث، أما الكلمة في معناها الأصلي فتعني الطريق أو المنهج الذي يؤدي إلى الهدف المقصود بعد التغلب على عقبات ومصاعب، ولعدم وجود كلمة أخرى غير كلمة (METHOD) فقد استعملها علماء المناهج الأوروبيين، لتدل على المنهج، وعلى اصطلاحي نهج ومنهاج، كما استعملوها كذلك بمعنى طريقة للبحث، وبمعنى وسيلة لجمع البيانات ـ أيضاً ـ فأداةٌ للوسيلة (١).

وخلاصة القول في تعريف المنهج في البحوث العلمية بعبارة موجزة هو: «فن التنظيم الصحيح لسلسلة الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين».

بمدلول أوسع ومفهوم أشمل ينتظم مناهج البحث مراحل عديدة تبدأ بـ: جمع المادة، وطريقة اختيارها، وتصنيفها، وتبويبها تبويباً منسجماً، في تسلسل منطقي، مع استقراء كمي، وتحليل نوعي؛ للتوصل إلى النتائج المرجوة والنهاية المطلوبة.

فمناهج البحث ابتداءً وانتهاءً على اختلاف أنواعه ومجالاته: عملية تنظيمية تسير وفق ترتيب منطقي عقلاني يتلاءم مع طبيعة البحث (٢).

وقيل في تعريف منهج البحث هو: «الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»(٣).

أو بعبارة أوجز: «الطريقة التي توصل الإنسان من نقطة إلى نقطة أخرى»(٤).

---

(١) البحث العلمي -أساسياته النظرية وممارسته العملية-، د. رجاء وحيد دويدار (ص:١٢٧).
(٢) منهج البحث في الفقه الإسلامي - خصائصه ونقائصه -، د. عبد الوهاب أبو سليمان (ص:١٥).
(٣) أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر (ص:٣٢).
(٤) قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل صيني (ص:٦١).

المطلب الثاني

موضوع مناهج البحث أو منهجية البحث

هو معايير البحث والباحث، واختيار الأستاذ المشرف والتهميش (جمع الشيء من هنا وها هنا...).

فموضوعه: جمع مواد البحث أو قُلْ: مرحلة تهيئة المواد الخام للبناء الجديد، وكيفية كتابة البحث، والتحشية؛ - أي: كتابة الحواشي - ووضع الفهارس وغيرها...

فلفظ: (مناهج البحث أو منهجية البحث): له مدلول واسع، فلفظ (المنهج) أو (المنهجية) يحتاج إلى بعض الإبانة، فالمنهج ينقسم إلى شطرين: تناول المادة، وشطر في معالجة التطبيق.

فشطر المادة: يتطلب قبل كل شيء جمعها من مظانها على وجه الاستيعاب المتيسر، ثم تصنيف هذا المجموع، ثم تمحيص مفرداته تمحيصاً دقيقاً؛ وذلك بتحليل أجزائها بدقة متناهية، وبمهارة، وحذف، وحذر، حتى يتيسر للدارس أن يرى ما هو زيف جلياً واضحاً، وما هو صحيح مستبيناً ظاهراً، بلا غفلة، وبلا هوى، وبلا تسرع.

أما شطر التطبيق فيقتضي ترتيب المادة بعد نفي زيفها، وتمحيص جيدها باستيعاب -أيضاً- لكل احتمال للخطأ، أو الهوى، أو التسرع.

ثم على الدارس أن يتحرى لكل حقيقة من الحقائق موضعاً هو حق موضعها؛ لأن أخفى إساءة في وضع إحدى الحقائق في غير موضعها خليق أن يشوه عمود الصورة تشويهاً بالغ القبح والشناعة[1].

---

(١) منهج البحث في الفقه الإسلامي، د. عبد الوهاب أبو سليمان، (ص:١٥).

المطلب الثالث

الفرق بين المنهج والمنهجية

المنهجية مصطلح محدث راج في الدراسات العليا خاصة بمعنى: العلم الذي يبين كيف يجب أن يقوم الباحث ببحثه...

أو هي الطريقة التي يجب أن يسلكها الباحث منذ عزمه على البحث، وتحديد موضوع بحثه حتى الانتهاء منه.

أو هي مجموعة الإرشادات والوسائل والتقنيات التي تساعده في بحثه.

والغرض من منهجية البحث: تعليم الطالب البحث العلمي، وتنمية الروح العلمية لديه، وتسهيل مهمته في البحث، وتجنيبه ضياع أوقاته هدراً.

ويبقى التساؤل: هل هناك فرق بين المنهجية والمنهج؟

من العلماء المعاصرين في مناهج البحث من يستعمل المنهج بمعنى المنهجية.

لكن الصحيح أن هناك فرقاً بين المنهج والمنهجية استناداً إلى الاعتبارات الآتية:

[١] أن المناهج وصف لأعمال العلماء المتقدمين وطرائق بحوثهم وأساليبهم ومصطلحاتهم؛ فالعلوم والبحث العلمي سابقة للمناهج. أما المنهجية فهي مجموعة المعايير والتقنيات والوسائل التي يجب اتباعها قبل البحث وفي أثنائه.

[٢] أن مناهج الدراسة تختلف من علم إلى آخر... فللأدب مناهج، وكذلك اللغة، والتاريخ، والرياضيات... أما المنهجية فواحدة عموماً.

[٣] إن المناهج تطرح عادة للنقد والتقديم فيُفصَّلُ ما لها وما عليها، وأيها الأولى بالاتباع، وما المنهج المناسب لهذا النوع من الدراسات... أما المنهجية فمعايير وتقنيات يجب التزامها لتوفير الجهد، وعدم إضاعة الوقت، وتسديد الخطا على الطريق العلمي الصحيح.

[٤] إن المناهج مرتبطة بالمنطق وطرق الاستدلال والاستنتاج؛ ولذلك فهي تتطور وتتعدل من حين إلى آخر. أما المنهجية فأصبحت عموماً جملة قواعد ثابتة(١).

---

(١) راجع: قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد صيني (ص: ٦١)، أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر (ص: ٣٢)، البحث العلمي مرجع سابق، د. رجاء وحيد دويدار (ص: ١٢٧) وما بعدها.

المبحث الثالث

صفات الباحث

سوف أتحدث في هذا المبحث عن صفات الباحث، وأهمية البحث بالنسبة للباحث، وعوائق البحث؛ وذلك في مطلبين على الوجه الآتي:

المطلب الأول

أهم صفات الباحث

الباحث شخص توافرت فيه الاستعدادات الفطرية والنفسية والكفاءة العلمية المكتسبة التي تؤهله للقيام ببحث علمي.

التأهيل العلمي المسبق في مجال البحث والتزود من المعارف العامة بقدر كافٍ مطلب أساس لإيجاد الباحث وتكوين شخصيته العلمية.

الباحث الأصيل هو الذي يتطلع إلى المجهول للخروج بالجديد من الأبحاث والأفكار، وهو يبدأ من حيث انتهى السابقون، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية يبحث عن المصادر الأصلية ويركز اهتمامه عليها[١].

مع ما سبق: يتذكر الباحث أن العلم عبادة، قال بعض العلماء: «العلم صلاة السر، وعبادة القلب»[٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

ومن هنا فمن أهم صفات الباحث ما يلي:

أولاً: النية الصالحة:

كان سلفنا الصالح ـ رحمهم الله ـ يركزون كثيراً على موضوع (النية) وضرورة

(١) كتابة البحث العلمي ـ صياغة جديدة ـ، د. عبد الوهاب أبو سليمان (ص:٣٧).

(٢) حلية طالب العلم، د. بكر أبو زيد (ص:٦).

إخلاصها لله -تعالى-، وكانوا ينظرون بحساسية قوية لموضوع طلب العلم؛ حيث كانوا يشددون على ضرورة أن يكون طلبه لله تعالى، وأن يتأكد طالب العلم من خلوص مقاصده من شوائب الجاه والمال وحب الظهور ومنافسة الأقران؛ وما ذاك إلا لأنهم يعدون طلب العلم وتعليمه من أعظم ما يتقرب به المسلم إلى ربه، وكانوا يرون ثوابه أعظم من ثواب النافلة وصلاة التطوع.

يقول الغزالي: «أيها الولد، كم من ليلة أحييتها ما كان الباعث فيه؟، إن كانت نيتك نَيْلَ عَرَض الدنيا، وجذب حطامها، وتحصيل مناصبها، والمباهاة على الأقران والأمثال؛ فويل لك ثم ويل لك. وإن كان قصدك فيه إحياء شريعة النبي ﷺ وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الأمارة بالسوء؛ فطوبى لك ثم طوبى لك»[1].

إن أسعد الناس بالعلم هو الذي يطلبه قربة إلى الله -تعالى-؛ لأنه يقصد به إصلاح شأنه ونفع الناس، ومن طلاب العلم من يقرن بذلك الحصول على شهادة تفتح له باب رزق، وهذا دون الأول، ومن الناس من يطلب العلم سعياً في إشباع نهمه إلى الاطلاع واكتشاف المجهول. وهناك إلى جانب هؤلاء من لا يعنيه شأن العلم في شيء، بل مراده الوصول إلى شيء من الدنيا عن طريق العلم الذي لديه، وهذا في المنزلة السفلي.

ويؤسفني القول: إن كثيراً من طلبة العلم اليوم لا يملك البحث والاطلاع؛ ولذا فإنه يتعامل مع المعرفة على أساس تجاري بحت، إنه يبذل أقل جهد في سبيل الحصول على الشهادة، ولو استطاع أن ينال تلك الشهادة دون أي جهد لما تردد في ذلك! وقد قالوا قديماً: «العلم إن لم تعطه كلك لم يعطك بعضه».

إن الرزق مقسوم، وإن مجرد حمل العلم يهيئ الإنسان لينال شيئاً من الدنيا، ولكن عندما تصح النية؛ فإن المرء ينال ثواب الآخرة، كما يقطف ثمار جِدِّه واجتهاده في الدنيا، وهذا من جملة التوفيق[2]. ورحم الله الإمام سفيان الثوري حين قال:

---

(١) أيها الولد؛ لأبي حامد الغزالي، (ص:١٠٥)، طبعة: دار الاعتصام) نقلاً عن بناء الأجيال، د. عبد الكريم بكار، ص:٣٦).

(٢) بناء الأجيال، د. عبد الكريم بكار (ص:٣٧).

« كنت أوتيت فهم القرآن، فلما قبلت الصُّرة سلبته »(١).

ثانياً: الإيمان بقيمة العلم:

شرَّف الله أهل العلم وأثنى عليهم؛ بأن جعل كتابه آيات بينات في صدورهم، وهذه خاصَّة ومنقبة لهم دون غيرهم، فقال - تعالى -: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ (٤٩) ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وإيماناً بقيمة العلم أمر الله نبيه ﷺ أن يسأله المزيد من العلم، وكفى بهذا شرفاً للعلم، قال - تعالى -: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) ﴾ [طه: ١١٤].

إن قيمة العلم تجعل حتى الجمادات والحيوانات تتعاطف مع العلم وأهله، قال ﷺ: (إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلون على معلم الناس الخير)(٢).

ثم إن طلبة العلم هم وصية رسول الله ﷺ، فقد قال: (سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحباً بوصية رسول الله وأفتوهم)(٣).

وقيمة العلم تكمن في أهميته وحاجة الناس إليه، قال الإمام أحمد - رحمه الله -: « الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس »(٤).

فالإيمان بقيمة العلم والبحث العلمي يترجمه الإقبال النفسي، وشغف البحث والدراسة، وحب تحصيل المعارف والفنون، وكذلك شعور الباحث بانشغال خاص نحو البحث؛ أي: استحواذ موضوع البحث على اهتمام الباحث وهمه الذهني والنفسي، ويأتي في القمة من ذلك شعور الباحث بمتعة خاصة، وتفاعل أثناء إعداد

---

(١) حلية طالب العلم، د. بكر ابو زيد (ص:٧).

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٣٤).

(٣) اخرجه ابن ماجة في المقدمة باب (٢٢)، والوصاة بطلبة العلم (١/ ٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (١/ ٤٧) حديث رقم (٢٠١).

(٤) راجع: صلاح الأمة في علو الهمة، د. سيد العفاني (١ / ١٤٤- ١٤٩).

بحثه ... (١).

ثالثاً: التواضع:

الأصل في الدراسات العليا والتعليم بصفة خاصة أنه ميدان للتصدر والرفعة، فقد يدخل على الباحث في ذلك ما يدخل من زهو وشعور بالرفعة.

قال ابن عبدوس: «كلما توفر العلم وارتفع كان العجب إليه أسرع إلا من عصمه الله تعالى بتوفيقه، وطرح حب الرياسة عن نفسه» (٢).

لهذا يؤكد أهل العلم أن على الباحث التخلق بخلق التواضع والتحلي به.

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه، ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم جهلكم بعلمكم» (٣).

وسئل الفضيل بن عياض - رحمه الله - عن التواضع؟ فقال: «يخضع للحق، وينقاد له، ويقبله ممن قاله، ولو سمعه من صبي قبله، ولو سمعه من أجهل الناس قبله» (٤).

ثم إن البحث العلمي هدفه الوصول إلى معرفة معينة كان يجهلها الباحث، أو كان علمه بها منقوصاً، وفي طلب المعرفة يجب أن نتذكر أن التواضع من شيم العلماء، وعلى الباحث أن يوجه نشاطه بتواضع دون إفراط في الثقة بالنفس، أو الزهو بقدراته ومهاراته.

وقد ضرب لنا العلماء الأوائل المثل في ذلك، حينما خصصوا كتابات حول كلمة (لا أدري) أو (لا أعرفه)، فيقول ابن جماعة: «واعلم أن قول المسئول: (لا أدري) لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة بل يرفعه؛ لأنه دليل عظيم على عظمة

---

(١) الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية، د. أحمد سلامة (ص ٤٩).

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٤٢).

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (١ / ١٣٥)، وراجع: المدرس ومهارات التوجيه، د. محمد الدويش (ص:٥٨).

(٤) راجع في التواضع وأحكامه: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول - ﷺ - مجموعة مؤلفين (٤ / ١٢٥٥).

محله وقوة دينه، وتقوى ربه، وطهارة قلبه، وكمال معرفته »(١).

وقيل: « تعلم (لا أدري) فإنك إن قلت: (لا أدري) علموك حتى تدري، وإن قلت: (أدري) سألوك حتى لا تدري »(٢).

ومن هنا نجد أن التواضع هو البعد عن الغرور، وعدم تحقير رأي الغير والسخرية منه، أو التنزيل من فكر صاحبه، فقد يؤدي الغرور ببعض الباحثين إلى وصف رأي غيره ممن سبقوه في تناول المسألة (موضوع البحث): بالتفاهة أو السطحية، أو بأنه رأي هزيل صبياني.

ومن صور التواضع التي يجب أن يسلكها الباحث: صدقه، فلا يقول ما لا يعلم، ولا يبالغ في ثقته بنفسه، ولا يكثر من مديح آرائه ونتائج بحثه؛ كأن يقول: إن قوله هذا أقطع الآراء في المسألة وأقواها، أو أن رسالته أو بحثه من أبرز الرسائل أو البحوث التي تمت في هذا المجال، أو أنه بحث المسألة بحثاً لن يتوصل أحدٌ غيره إلى مثله... فهذا تقدير أو حكم يملكه الجمهور من القراء أو أهل الاختصاص في حقل التخصص، أو الممتحن (المناقش) بالنسبة للدارسين الأكاديميين(٣).

وقد تجد أمثلة على ما سبق أن الباحث إذا تحدث فإنه يستخدم عبارات العلماء، وكأنه عالم حبر بحر يشار إليه بالبنان، فيقول: وأنا أرى، وعندي، والذي نرجحه، والذي نراه، ويكثر من هذه (الأنا) القاتلة في حديثه أو في رسالته العلمية أو بحثه؛ أو يقول: ولي من المصنفات كذا وكذا...

وما أجمل الكلمة التي قالها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه (زاد المعاد) حيث قال ـ وهو يتحدث عن الألفاظ المكروهة والممنوعة ـ: « وليحذر كل الحذر من طغيان (أنا) و(لي) و(عندي) فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها إبليس وفرعون وقارون ».

فأما إبليس ـ لعنه الله ـ فقال كما حكى الله: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم (ص: ٤٢-٤٣).

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢ / ٥٥)، إعلام الموقعين (٣/ ٢١٨).

(٣) الأصول المنهجية للبحوث والدراسات العلمية، د. أحمد سلامة ص ٥٤).